# أدلة علي سقوط العطف
# من بين طرق القصر الاصطلاحية

الدكتور
**أحمد حسن علي محمد**
مدرس البلاغة والنقد بالكلية

**بسم الله الرحمن الرحيم**

الحمد لله الذي به يستعان ، وعليه التكلان ، ولا حول ولا قوة إلا بالله الكريم المنان ، صاحب الحول والطول والجود والإحسان ، والصلاة والسلام علي النبي العدنان ، وعلي الآل والصحب الكرام الحسان، وسلم تسليماً كثيرا.

**وبعد**

فإن كل كلام يؤخذ منه ويرد عليه إلا كلام المعصوم صلي الله عليه وسلم ؛لأنه مستمد من وحي السماء، وقد تكلم البلاغيون عن أساليب القصر وعددوا طرقه فأجادوا وأحسنوا وشرحوا وبينوا ، وأفاضوا في ذكر الأمثلة وتحليل الشواهد القرآنية والأبيات الشعرية التي تحمل في طياتها الكثير من المعاني والدلالات، ولم يكن وقوفهم في دراسة القصر عند تحديد المقصور والمقصور عليه وأداة القصر فقط ، بل غاصوا وراء المعاني والدلالات التي تتواري خلف أدوات القصر، لكن عند حديثهم عن القصر بطريق العطف لم يكن الإمتاع فيه بنفس الدرجة التي أنت واجدها في بقية الطرق ، وليس هذا تقصيراً منهم ، ولكن لأن الطريق نفسه لا يحمل سمات بلاغة مثل بقية الطرق ، فكان كلامهم فيه يقف عند تحديد الدلالة اللفظية التي تظهر في الشاهد، ولا يجدون دلالات تذكر تتخفي وراء هذه الأدوات ، بل إن ضعف دلالة هذه الأوات جعلهم أنفسهم يضطربون في تحديد المقامات التي تأتي فيها هذه الأدوات ، بل وصل الأمر إلي رفض بعضهم لهذا الطريق وإخراجه من دائرة القصر البلاغي ، والحق – من وجهة نظري – مع هؤلاء الرافضين ؛ لأن الغرض من دراسة الأساليب دراسة بلاغية هو الغوص وراء الأسراروالمعاني التي تفيض بها الأدوات وتنطق بها العبارات ويشع بها السياق، وإنك لا تجد كبيردلالة وراء أدوات العطف عندما تستخدم في القصر سوي دلالة لفظية ساذجة لا تدل علي أكثر من إيجاب ونفي يمكن أن يفاد بغيرها من الأدوات .

لذا : أردت في هذا البحث أن أقف عند كلام البلاغيين في هذا الطريق لأبين اضطرابه وعدم رسوخه بين بقية الطرق ، وأسوق الأدلة علي سقوطه من بينها، وعدم صلاحيته لإفادة القصر البلاغي ضمن الأساليب العالية.

وقد بدأت كلامي بدراسة موجزة لهذا الطريق من خلال كتب النحاة والبلاغيين حتي يكون القارئ علي دراية به قبل إيراد الأدلة علي سقوطه،ثم سقت الأدلة التي تكشف اضطراب هذا الطريق وعدم رسوخه ، حاولت خلالها تحليل كلام البلاغيين والوقوف عند الأمثلة التي أوردوها في شواهد هذا الطريق ومقارنتها بالشواهد الأخري في بقية الطرق لأصل من خلالها إلي الحكم علي هذا الطريق.

وهذا التحليل والنقد هو تعبير عن رأي ووجهة نظر ، فإن لاقي من القاريء قبولاً فبها ونعمت ولله الحمد والمنة، وإن كانت الأخري فله غنمها وعلي غرمها ، وحسبي أنها محاولة مني في إثراء النقد البلاغي ، والله المستعان ولا حول ولا قوة إلا بالله .

## العطف بين النحاة والبلاغيين

الكلام في طريق العطف مشترك بين النحاة والبلاغيين، لأن الأصل في العطف أنه من مباحث النحو، لأن هذه الحروف الثلاثة " لا – بل – لكن" لاتفيد العطف إلا بشروط وضعها النحاة، فإن اختل شرط من هذه الشروط خرجت عن معني العطف، ثم جاء البلاغيون وأخذوا هذه الحروف بشروطها وجعلوها طريقاً من طرق القصر ، لما لمحه بعضهم فيها من إفادة معني التخصيص والحصر،نعرض فيما يأتي موجزاً من كلامهم.

**أولا : لا العاطفة :**

لا حرف نفي يفيد نفي الحكم عن المعطوف بعد ثبوته للمعطوف عليه نحو"يفوز الشجاع لا الجبان" ولا يفيد العطف إلا بشروط :

١– أن يكون المعطوف به مفرداً لا جملة قال الصبان: " يشترط في لا العاطفة إفراد معطوفها ولو تأويلا...ولايعطف بها جملة لا محل لها من الإعراب " [١]

٢ – ألا يتقدمها نفي أو شبه نفي وقد أشار ابن مالك إلي ذلك فقال :

وأول لكن نفياً أونهياً و"لا " نداءً أو أمراً أو اثباتاً تلا [٢]

والمعني أن حرف لا العاطفة يأتي بعد النداء والأمر والإثبات ولا يكون عاطفاً إلا إذا وقع بعد أحدها.

٣ – ألا تقترن : لا " بالواو العاطفة ؛ لأن حرف العطف لا يدخل علي حرف العطف مباشرة ، فإن اقترنت به كان العطف به وحده وتمحضت هي للنفي الخالص نحو " ما جاء محمد ولا علي " . [٣]

فهي عند النحاة بهذه الشروط تفيد قصر القلب وقصر الإفراد [١] .

---

١ ـ حاشية الصبان علي شرح الأشموني ح٣ ص ٢٣٠ ط مؤسسة الرسالة. ويراجع تهذيب النحو تأليف د / عبد الحميدالسيد عبداللطيف ج ٣ ص ١٩٨ مطبعة المدني القاهرة .

٢ ـ شرح ابن عقيل علي ألفية بن مالك ج٣ ص١٩٣ مطبعة دار الطلائع الاسكندرية .

٣ ـ النحو الوافي لعباس حسن ج ٣ ص ٦١٩ ط دار المعارف الطبعة الثانية عشرة.

وقد ذكر البلاغيون أن "لا " تفيد القصربكل صوره – بهذه الشروط – الحقيقي منه قليلاً أو الإضافي كثيراً سواء كان إفراداً أو قلباً أو تعييناً تقول : هو شاعر لا غير فتفيد نفي الصفات غير الشعر نفياً عاماً ، وتقول هو شاعر لا كاتب فتفيد إثبات الشعر ونفي الكتابة ، وهو صالح لأن يكون قصر إفراد إذا كان المخاطب يعتقد وصفه بهما، وصالح لأن يكون قصر تعيين إذا كان متردداً بينهما ،وصالح لأن يكون قصر قلب إذا كان يعتقد العكس .[٢]

أما عند محمد بن علي الجرجاني " لا " تكون إلا في القصر الحقيقي فقط ، وذلك إذا كان المنفي عاماً لا يمكن تحديده فيترك ذكره ويقام لفظ "غير" مقامه مثل: زيد شاعر لا غير قال: " زعم المعاصر – أي الخطيب – أن من طرق القصر العطف بلا وبل ، كقولك في قصر الموصوف علي الصفة إفراداً زيد شاعر لا كاتب أو ما زيد كاتباً بل شاعر ، وقلباً نحو زيد قائم لا قاعد أو ما زيد قاعداً بل قائم ، وفي قصر الصفة علي الموصوف إفراداً أو قلباً بحسب المقام زيد قائم لا عمرو أو ما زيد قائماً بل عمرو ، وهذا ليس بشيء ؛ لأن إثبات صفة لمعين أو نفيها عن معين آخر ليس بقصر؛ بل القصر هو إثباتها لمعين ونفيها عن غير ذلك المعين أعم من أن يكون زيداً أو عمراً أو غيرهما فهو أعم من الأول ، ولو قيل زيد شاعر لا غير كان قصرا .[٣] وهي عندالشيخ عبدالقاهر لقصر القلب فقط .[٤]

والمقصور عليه في "لا" هو المقابل لما بعدها نحو قول الشاعر:

وأجود الشعر ما يكسوه قائله  بوشي ذا العصر لا الخالي من العصر

---

١ - يراجع قطر الندى وبل الصدى لابن هشام ص ٢٠١ تحقيق خفاجي ط مكتبة الإيمان بالمنصورة .
٢ - يراجع الإيضاح للخطيب ص ١٥٢ ت د عبد القادر حسين ط مكتبة الآداب وشروح التلخيص ج ٢ ص ١٨٧ وما بعدها - ط دارالكتب العلمية بيروت .
٣ - الإشارات والتنبيهات ص ٩٣،٩٤ ط دار نهضة مصر القاهرة.
٤ - يراجع دلائل الإعجاز ص ٢٢٩،٢٣٠ ت خفجي ط دار الجيل الطبعة الأولي ٢٠٠٤م.

فالشاعر قصر صفة الجودة علي الشعر المعبرعن روح العصر ونفاها عن غيره فهو من قصر الصفة علي الموصوف بطريق العطف.[١]

**ثانيا: بل :**

يقول ابن مالك :

وبل كلكن بعد مصحوبيها كلم أكن في مربع تيها

وانقل بها للثان جكم الأول في الخبر المثبت والأمر الجلي[٢]

أي أن بل يعطف بها بعد النفي والنهي فتكون كلكن لإي أنها تقرر حكم ما قبلها وتثبت نقيضه لما بعدها نحو:" ما قام زيد بل عمرو" و"لا تضرب زيداً بل عمرو" وذهب المبرد إلى أن قولك "ما جاءني زيد بل عمرو" يفيد نفي الحكم عنهما ،أي لم يجئك زيد ولا عمرو،لأن عطف عمرو على زيد يقتضي أن يشاركه في الحكم ، وكأن المغنى "بل ما جاءني عمرو" [٣] .

وبل عند من رأى أنها تفيد القصر يشترط فيها شرطان :

الأول : أن يليها مفرد ،فإن وليها جملة لا تفيد القصر ،مثل قوله – تعالى – "بل تؤثرون الحياة الدنيا " { سوة الأعلى : ١٦} لم تفد القصر هنا ؛ لأن ما بعدها جملة .

الثاني : أن يتقدمها نفي أو نهي فإذا جاءت بعد الإثبات لا تفيد القصر ،كقولك محمد كاتب بل شاعر ، لأن الحكم الأول مسكوت عنه ، ومنقول من الحكم عليه لما بعده وبذلك تفيد الجملة إثبات الشيء للشيء فقط ولا تفيد نفيه عن غيره [٤].

والكثير الغالب في بل – عند من رأى فيها القصر – أنها تستعمل في الإضافي بأنواعه إفراداً وقلباص وتعييناً ،فقولك "ما زيد كاتب بل شاعر" صالح لأن يكون

---

١ ـ علم المعاني بين بلاغة القدامي وأسلوبية المحدثين د طالب محمد إسماعيل ص ٣٩٣ ط منشورات جامعة قاريونس ليبيا ط أولي ١٩٩٧.

٢ ـ شرح ابن عقيل علي ألفية ابن مالك ١٩٣/٣ .

٣ ـ الكامل للمبرد : ٤١٨/١ ط مؤسسة الرسالة الطبعة الثالثة ١٩٩٧م.

٤ ـ انظر :شرح الأشموني على ألقية ابن مالك :١١٥,١١٤/٢،

قصر إفراد أو قلب أو تعيين بحسب حال المخاطب .[١] والمقصور عليه مع بل هوما بعدها .

و"بل "مثل " لا " في كون إفادتها القصر ليس محل اتفاق بين العلماء فمذهب الجمهور على أنها لا تفيد القصر سواء سبقت بإيجاب أو بنفي ؛ لأنها في الإيجاب تفيد إثبات الحكم لما بعدها وما قبلها مسكوت عنه، فلا تدل على نفي الحكم عنه ، وفي السلب تفيد أيضاً إثبات الحكمة لما بعدها وما قبلها مسكوت عنه .[٢]

قال السبكي بعد أن حكم بأن "لا" لا تفيد القصر: "وأماالعطف بـ "بل" فأبعد،فإن قولك : ما زيد قائما بل قاعد لا قصر فيه ،وهو أبعد من القصر عما قبله ؛لأن في "لا" جمعاً بين نفي وإثبات وذلك لا يستمر في بل إذا جوزنا عطفها على المثبت،مثل : زيد شاعر بل كاتب ،ثم إن إطلاق "بل" العاطفة للقصر لا يصح ،لأنه يقتضي أن قولك " ليس زيد قائما بل قاعد " لا قصر فيه ، فإنها ليست عاطفة لان بل لا تعطف إلا المفرد كما صرح به النحاة.[٣]

ثالثاً : لكن لكن عند النحاة حرف عطف معناه الاستدراك.[٤] نحو:ما صاحبت الخائن لكن الأمين ، وتكون عاطفة باجتماع ثلاثة شروط:

١- أن يكون المعطوف بها مفرداً لا جملة ،مثل ما قطفت الزهر لكن الثمر . فإن لم يكن مفرداً وجب اعتبار لكن حرف ابتداء واستدراك معاً وليس عاطفاً .

٢- ألا تكون مسبوقة بالواو مباشرة ،فإن سبقت بالواو لم تكن حرف عطف ، واقتصرت على ان تكون حرف استدراك وابتداء كلام ، ووجب أن تقع بعده جملة ، نحو : ما صافحت المسيء ولكن صافحت المحسن.

---

١ - انظر :الإيضاح للخطيب القزويني :١٥٢ ، تح د / عبد القادر حسين، ط مكتبة الآداب.
٢ - انظر مواهب الفتاح :لابن يعقوب المغربي:٢/١٩٠.ضمن شروح التلخيص .
٣ - عروس الأفراح :١٨٧/٣ ضمن الشروح.
٤ - الاستدراك معناه تعقيب الكلام بإزالة بعض الخواطر والأوهام التي ترد على الذهن بسببه" هامش النحو الوافي ٣ / ٦١٦. ط دار المعارف.

٣ – أن تكون مسبوقة بنفي أو نهي ،كما عند ابن مالك وذلك في قوله:

وأول لكن نفياً او نهياً ولا نداء أو امراً أو اثباتاً تلا [١]

وكلام البلاغيين عن "كن " يفيد أنها تأتي لقصر القلب ،قال ابن يعقوب : "ولكن للإثبات بعد النفي كـ ما جاء زيد لكن عمرو ،رداً على من زعم أن زيداً جاء دون عمرو.[٢]

وقال سعد الدين التفتازاني :" والمذكور من كلام النحاة أن " لكن " في نحو : ما جاءني زيد لكن عمرو ،لدفع وهم المخاطب أن عمراً لم يجيء كزيد ،بناءً على ملابسة بينهما ،وملاءمة ؛ لأنه للاستدراك وهو دفع توهم يتولد من الكلام المتقدم دفعاً شبيهاً بالاستثناء ، وهذا صريح في أنه إنما يقال "ما جاءني زيد لكن عمرو " لمن اعتقد أن المجيء منتف عنهما لا لمن اعتقد أن زيداً جاءك دون عمرو على ما وقع فى المفتاح ،وأما أن يقال لمن اعتقد أنهما جاءاك على أن يكون قصر إفراد فم يلق به أحد.[٣]

قال الدسوقي : " أما لكن فتستعمل للاثبات بعد النفي لقصر القلب فقط عند البيانيين ، أو لقصر الإفراد فقط عند النحاة " .[٤]

وموقع المقصور عليه في لكن هو ما يليها ، مثل بل .

## الأدلة علي سقوط العطف من بين الطرق الاصطلاحية للقصر

جرت عادة البلاغيين عند حديثهم عن أسلوب القصر أن يعرفوه لغة واصطلاحا فقالوا في تعريفة لغة أنه الحبس من ذلك – قوله تعالى – " حور مقصورات في الخيام " { الرحمن :٧٢ } . وفي الاصطلاح " هو تخصيص شيء بشيء

---

١ ـ شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك:١٩٣/٣، ويراجع تهذيب النحو ١٩٣/٣. عبد الحميد السيد طلب ،مطبعة المدني القاهرة.

٢ ـ مواهب الفتاح :٣٨٣/١،ضمن الشروح.

٣ ـ المطول :١٢٠.ط المكتبة الأزهرية التراث.

٤ ـ حاشية الدسوقي :٣٨٣/١،ضمن الشروح.

بطريق مخصوص " فأتى البلاغيون بالقيد "بطريق مخصوص " ليحددوا الأساليب التي تدخل تحت مباحث هذا الفن ، وتكون لها دلالات وخصائص تتميز بها ، وبذلك أخرجوا من هذه الأساليب ما دل على القصر بمعناه اللغوي ولم يستخدم فيه طريق من الطرق المحددة اصطلاحياً ، فأخرجوا نحو قولهم : هذا مقصور عليك ،وهذا لك وحدك ، وفلان وحيد عصره ، وفريد دهره وغير ذلك من الأساليب التي تفيد القصر بمعناه المعجمي .[١]

ولقد تعددت الطرق التي تفيد القصر وكثرت حتي أوصلها بعضهم إلي أربعة عشرطريقاً [٢] ثم اشتهر منها ستة وهي العطف بـ " لا ، بل ، لكن " والنفي والاستثناء ، وإنما ، والتقديم ، وضمير الفصل ، وتعريف الطرفين ، ثم اقتصر عند بعضهم علي أربعة منها .

يقول صاحب إيضاح الإيضاح : " للقصر طرق أراد ذكر ما جرت العادة بذكره من طرق القصر في بابه وهي أربعة وإلا فطرقه كثيرة كقولك زيد مقصور علي الانطلاق ، وزيد المنطلق ، والمنطلق زيد ، وهو أفضل من عمرو" [٣]

فليس المقصود من دراسة القصر تعديد الطرق التي تدل علي حصر وحبس شيء في شيء ، وإنما غاية ورعة الدراسة تظهر في إبراز الدلالات المنبسقة من جوانب السياق، كالتعريض مثلا الذي يفهم من طريق إنما في قوله تعالي : " إنما يتذكر أولوا الألباب" { الرعد:١٩} فليس المقصود هو أن نعلم حصر التذكر في أولي الألباب – فهو أمر معلوم بداهة – لكن المقصود هو ما وراء ذلك من التعريض

---

١- انظر شرح التلخيص للبابرتي ص ٣٢١ ت د/محمد رمضان صوفة ط المنشأة العامة للنشر والتوزيع طرابلس طبعة أولي ١٩٨٣م وبغية الإيضاح للشيخ عبدالمتعال الصعيدي ٣/٢ ط مكتبة الآداب.

٢ - انظر الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ٥٠،٤٩/٢ ت محمد أبو الفضل إبراهيم مطبعة الحسيني القاهرة.

٣ - إيضاح الإيضاح لجمال الدين بن محمد الإقسرائي ص ٧١٤ ت ميلاد إبراهيم القذافي ط دار الشعب مصراته ليبيا الطبعة الأولي.

بهؤلاء الكفار والذم لهم واتهامهم بالجهل والغباوة ،يقول الشيخ عبدالقاهر:" ثم اعلم إذا استقريت وجدتها أقوي ما تكون وأعلق ما تري بالقلب إذا كان لا يراد بها نفس معناها ولكن التعريض أمر هو مقتضاها نحو: أن نعلم أن ليس الغرض من قوله تعالي " إنما يتذكر أولوا الألباب" أن يعلم السامعون ظاهر معناه ولكن أن يذم الكفار وأن يقال أنهم لفرط العناد ومن غلبة الهوي عليهم في حكم من ليس بذي عقل وأنكم إن طمعتم منهم أن ينظروا ويتذكروا كنتم كمن طمع في ذلك من غير أولي الألباب."[١]

إذن اتضح لنا أن ليس المقصود من دراسة بلاغة القصر هو تعديد طرقه وتحديد مكان المقصور والمقصور عليه ، بل يتعدي الغرض إلي تحديد الغاية والمرمي الذي يهدف إليه القصر والدلالات المنبسقة من وراء السياق ، فقد يختلف الغرض ويتغير المعني بتقديم كلمة أو تأخير أخري فمثلاً في قوله تعالي:"إنما يخشي الله من عباده العلماء" بتقديم اسم الله تعالي معني خلاف ما لو أخر ، فتقديم اسم الله تعالي جاء لغرض أن يبين الخاشون من هم ويخبر أنهم العلماء خاصة دون غيرهم ، أما لو أخر اسم الله تعالي وقدم العلماء لاختلف المعني وصارالغرض بيان أن المخشي هو الله والخشية واقعة من العلماء له وحده دون غيره، وهو غير المقصود .[٢]

إذن فليس العبرة هنا تحديد المقصور والمقصورعليه والأداة إنما هم العلماء الغوص وراء المعني الذي جاءت من أجله أداة القصر ،وعلي ذلك أقول : إن طرق القصر التي ليس وراءها كبير دلالة سوي إثبات شيء لشيء ونفيه عن آخر وبدون إيجاز في الأسلوب من الأجدر والأحري ألا تدرج تحت طرق القصر الاصطلاحية، ومن هذه الطرق طريق العطف ، فهو طريق ليس وراءه إيحاءات تلمح من وراء أداته سوي إثبات ونفي في حالين وليس دفعة واحدة ، بل إن القصر فيه ليس واضحا

---

١ - دلائل الإعجاز ص ٢٣٨ ت د خفاجي ط دارالجيل بيروت الطبعة الأولي ٢٠٠٤م.
٢ - انظر دلائل الإعجاز ص ٢٣١.

كما هو في "إنما" أو" ما وإلا" فمثلا : ما القصر في قولنا : جاء محمد لا علـــي ؟ وأين المقصور والمقصور عليه؟ إن هذا الأسلوب لم يزد عن كونه إثبات مجيء لمحمـــد ونفي هذا المجيء عن علي وليس فيه رائحة تخصيص وحصر هذا المجيء في محمد،وإذا قلنا أن المقصور عليه هو المقابل لما بعد لا – أي الذي قبلها – فيكون المقصور عليـــه هو محمد والمقصور هو المجيء فما فائدة الإتيان بلا بعد تحدد المقصـــور والمقصـــور عليه؟ إن هذا الأسلوب لا يتعدي كونه إثبات شيء لشيء ونفي هذا الشـــيء عـــن غيره في حالين ، فإذا تجوَّزنا وقلنا أن في الأسلوب قصراً فهو لا يتعـــدي أن يكـــون قصراً لغوياً كالذي يفيده قولنا : جاء محمد وحده ، أو جاء أحمـــد دون علـــي ،وأي قصر في قولنا : ما حضر أحمد لكن خالد ، أو ما عمرو قائما بل زيـــد، أيـــن معـــني القصرالذي هو حبس الصفة في الموصوف أو الموصوف في الصفة وحصرها فيه دون غيره؟.

إن هذه الأساليب أساليب مصطنعة ضعيفة لا ترقـــي أن تصـــل إلي بلاغـــة أساليب القصر الاصطلاحية التي استخدمها القرآن الكريم والسنة النبويـــة المطهـــرة وفصحاء العرب الخلص ، والتي تستشعر من ورائها الدلالات المتعددة التي يشع بهـــا السياق ويحددها المقام.

لذا أري أن طريق العطف لا يرقي أن ينتظم في سلك الطرق الاصـــطلاحية للقصر ، فكما أن جمهور البلاغيين أخرجوا الكثير من الطرق والتي أوصلها بعضـــهم إلي أربعة عشر طريقاً – لخلوها من دلالات القصر المتشعبة – واقتصروا علي بعضها وحددوها ،يجب أن يخرج هذا الطريق من الطرق الاصطلاحية للقصر ،فإن بقي لـــه شيء من معني القصر فيكفي أن يذكر في الطرق غير الاصطلاحية التي تفيد القصـــر بمعناها اللغوي المعجمي .

وقد بنيت رأيي في إخراج العطف من الطرق الاصطلاحية علي أدلة أســـوق إليك تفصيلها فيما يأتي :

## الدليل الأول

### عدم ورود أمثلة لهذا الطريق

### في القرآن الكريم أو في السنة النبوية المطهرة أو في كلام من يعتد بهم من فصحاء العرب

لا يشك أحد في أن أساليب القرآن هي أرقي أساليب الكلام علي الإطلاق ، ويأتي من بعدها في الرتبة كلام المعصوم صلي الله عليه وسلم الذي هو ذروة الكلام البشري، ومن ثم فإن بلاغة الكلام تقاس علي مقاييس القرآن والسنة ، أو علي الأقل علي كلام الخلص من العرب، فإذا أردنا أن نأتي بمثال للقصر بطريق العطف من القرآن أو السنة أو فصحاء العرب لا نجد شيئا، ولذا نجد القائلين بهذا الطريق يمثلون له بأمثلة مصنوعة ويحاولون فيها إثبات جدية هذا الطريق من نحو قولهم محمد شاعر لا كاتب ، وما حضر محمد لكن خالد ، وما جاء زيد بل عمرو ، دون أن يذكروا مثالا واحدا من القرآن أو السنة أو مما يعتد به ، بل إن الآية الوحيدة التي استدل بها بعضهم للعطف بلكن وهي قوله تعالي { ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله }سورة الأحزاب :٤١ لا تصلح للقصر أصلا لخلوها من الشرطين اللذين اشترطاهما في إفادة لكن للقصر وهما : أن يكون معطوفها مفرداً ، وألا تقترن بالواو وكلا الشرطين غير متوفر في الآية الكريمة ، فـ" لكن" مقترنة بالواو وهي داخلة علي جملة كما قال المفسرون ،فالنصب في الآية بإضمار "كان" المدلول عليها بـ كان السابقة ،قال الزمخشري المعنى ولكن كان رسول الله".[١] وقال ابن الجوزي "قال المفسرون لما تزوج رسول الله – صلى الله عليه وسلم – زينب قال الناس إن محمداً قد تزوج امرأة ابنه،فنزلت هذه الآية والمعنى :ليس بأبٍ لزيد فتحرم عليه ،ولكن كان رسول الله ،قال الزجاج :من نصبه فالمعنى ولكن كان رسول الله ،وكان خاتم النبيين ،ومن رفعه فالمعنى هورسول الله ."[٢]

---

١ ـ انظر الكشاف للزمخشري:٣/٣٤٢،٥٢٦ تح مصطفي حسين أحمد ط دار الكتاب العربي.

٢ ـ زاد المسير إلى علم التفسير لابن الجوزي :٦/٣٩٣،تح: مصطفى السيد محمد وأخرين ، ط مؤسسة قرطبة ، القاهرة .

فمعنى كلام المفسرين هنا أن لكن ليست عاطفة لأنها داخلة على جملة ولذا أضمروا كان ويكون "رسول الله " خبر كان المضمرة .

ومن قال من المفسرين أنها عاطفة قال بأنه خلاف الأولى يقول صاحب الدر المصون "قوله ولكن رسول الله " نصب رسول الله إما على إضمار كان السابقة عليها أي ولكن كان رسول الله ،وإما بالعطف على "أبا أحدٍ" والأليق الأول لأن لكن ليست عاطفة لأجل الواو فالأليق بها أن تدخل على الجمل كمثل التي ليست عاطفة.[١]

إذن فكلام النحاة والمفسرين يشير إلى أن لكن في هذه الآية لم تكن عاطفة لخلوها من الشرطين السابقين ،وعلى ذلك فكلام العلامة الدسوقي في هذه الآية أنها تحتوى على قصر القلب غير صحيح ،حيث قال "فقوله تعالى ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله يفيد نفي أبوة محمد – عليه السلام – لزيد وإثبات الرسالة له وهو قصر قلب ؛لأن المشركين – لعنة الله عليهم – كان يعتقدون فيه الأبوة لزيد ونفي الرسالة عنه فقلب المولى عليهم اعتقادهم ".[٢]

وعدم صحة كلام العلامة الدسوقي لسببين :

الأول :أن لكن هنا داخلة على جملة ولم تدخل على مفرد ثم قرنت بالواو ففقدت شرطي كونها عاطفة .

الثاني:أن الكلام لم يكن موجهاً إلى المشركين ، ولم يكن المشركون أصلاً يعتقدون ذلك حتى يقلب عليهم اعتقادهم،إذ الكلام موجه إلى المسلمين بدليل عود الضمير في قوله "رجالكم "إلى المسلمين وليس إلى المشركين وأيضاً ما قاله المفسرون في سبب نزول هذه الآية ،قال صاحب المحرر الوجيز "أذهب الله تعالى في هذه الآية ما

---

١ ـ الدر المصون في علم الكتاب المكنون للسمين الحلبي :١٢٨/٩،تح: أحمد الخراط طدار القلم ،دمشق

٢ ـ حاشية الدسوقي ضمن شروح التلخيص :٣٨٣/١.

وقع في نفوس منافقين وغيرهم من نقد تزويج رسول الله – صلى الله عليه وسلم – زينب زوجة دعيه زيد بن حارثة لأنهم كانوا استعظموا أن يتزوج زوجة ابنه ،فنفى القرآن تلك البنوة ، واعلم أن محمداً – صلى الله عليه وسلم – لم يكن في حقيقة الأمر أباً لأحد من رجال المعاصرين له ".[١]

وقال الإمام البقاعي "فقد قالوا لما تزوج زينب كما رواه الترمذي عن عائشة رضي الله عنها تزوج حليلة ابنه ،أخبر سبحانه على وجه هو من أعلام النبوة وأعظم دلائل الرسالة "ما محمد أبا أحد من رجالكم "لا مجازاً بالتبني ، ولا حقيقة بالولادة ... ولما كان بين كونه صلى الله عليه وسلم أباً لأحد من رجال حقيقة وبين كونه خاتماً منافاة قال " ولكن" كان في علم الله غيباً وشهادة أنه رسول الله ."[٢]

إذن من كلام المفسرين يظهر لنا أن الكلام لم يكن موجهاً للمشركين وإنما هومتعلق بقضية نفي أبوة النبي – صلى الله عليه وسلم – لزيد وجواز تزوج امرأة المتبنى ، لكن لما استعظم بعض المسلمين ذلك وتكلم بعض المنافقين في هذا الأمر نزلت هذه الآية ، فكما يتضح أيضاً أن الآية لا تشتمل على قصر القلب كما قال العلامة الدسوقي ،وذلك لدخول لكن على الجملة واقترانها بالواو .

وعلى ذلك فطريق العطف الذي قال به من قال من البلاغيين لم يقم له دليل واحد من القرآن أو السنة ،وهذا يدل على أنه طريق غير راسخ بين طرق القصر الاصطلاحية وأن أمثلته مصنوعة ليس وراءها كبير دلالة يستبطنها السياق ،وما لا يقوم له دليل من القرآن أو السنة لا يرقى – من وجهة نظري – طرقاً اصطلاحياً في باب عظيم الفائدة كباب القصر .

---

١ ـ المحرر الوجيز لابن عطية :٤/٢٣٠.ط:دار الكتب العلمية بيروت .
٢ ـ نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي :١٥/٣٦٣،ط دار الكتاب الإسلامي القاهرة .

## الدليل الثاني

## اضطراب البلاغيين أنفسهم في تحديد دلالة القصر بطرق العطف.

اضطرب البلاغيون واختلفوا فيما بينهم في تحديد دلالة أدوات العطف المستعملة في القصر .

**رأي الخطيب القزويني وشراح التلخيص :**

ذكر الخطيب وشراح التلخيص من بعده أن القصر بطريق العطف يأتي في القصر الحقيقي قليلاً وفي الإضافي كثيراً ، ويشمل جميع أنواعه إفراداً وقلباً وتعييناً ؛ كأن تقول :زيد شاعر لا كاتب ،وما زيد كاتباً بل شاعر، قصر إفراد أو تعيين ،حسب اعتقاد المخاطب ،وتقول :زيد قائم لا قاعد ،وما زيد قاعداً بل قائم في قصر القلب ،وفي القصر الحقيقي تقول : زيد يعلم الشعر لا غير ، فتقصره على علمه للشعر دون باقي العلوم كالنحو والعروض والبلاغة وغيرها .[١]

**رأي محمد بن علي الجرجاني:**

نقض الجرجاني ما قاله الخطيب ،فرأى أن هذه الحروف لا تصلح للقصر الإضافي ؛فقال :"زعم المعاصر – يعني الخطيب – أن من طرق القصر العطف بلا وبل ،كقولك في قصر الموصوف على الصفة إفراداً زيد شاعر لا كاتب ،أو مازيد كاتباً بل شاعر ،وقلباً نحو:زيد قائم لا قاعد أو مازيد قاعداً بل قائم ، وفي قصرالصفة على الموصوف إفراداً أو قلباً بحسب المقام زيد قائم لا عمرو ،أو ما عمرو قائماً بل زيد ،وهذا ليس بشيء ، لأن إثبات صفة لمعين ونفيها عن معين آخر ليس بقصر ،بل القصر هو إثباتها لمعين ونفيها عن غير ذلك المعين أعم من أن يكون زيداً أو عمراً أو غيرهما فهو أعم من الأول ، نعم لو قيل زيد شاعر لا غير كان قصراً ."[٢]

---

١ - انظر :تلخيص المفتاح للخطيب ،ضبط وشرح عبد الرحمن البرقوقي:١٣٧- ١٣٩.ط دار الفكر.
٢ - الإشارات والتنبيهات :٩٣ - ٩٤.

فكلام محمد بن علي الجرجاني يأتي على النقيض من كلام الخطيب الذي بنى كلامه على أن القصر بطريق العطف يأتي في الكثير الغالب للقصر الإضافي بأنواعه .

**رأي الشيخ عبد القاهر** :

تحدث الشيخ عن لا العاطفة ورأى أنها تأتي لقصر القلب فقط دون قصر الإفراد والتعيين ، لكن الذي يتتبع كلام الإمام عن القصر يجده لم يتكلم عن طريق العطف ولم يؤصل له كطريق من طرق القصر الاصطلاحية لكنه تكلم عن "لا" في ثنايا كلامه عن طريق إنما ، وخلال بيان مزايا هذه الأداه الرائعة وما يشع وراءها من دلالات فذكر مثالاً للعطف بـ لا قارنه بإنما ليستخلص ما تميزت به إنما ،فقال : "ثم اعلم أن قولنا في لا العاطفة أنها تنفي عن الثاني ما وجب للأول ليس المراد به أنها تنفي عن الثاني أن يكون قد شارك الأول في الفعل ،بل تنفي أن يكون الفعل الذي قلت أنه كان من الأول قد كان من الثاني دون الأول . [1] فاستخلص البلاغيون من كلامه أنه يرى في لا العاطفة أنها تأتي لقصر القلب فقط وهذا هو المفهوم من كلامه رحمه الله، لكن ليس معنى ذلك أنه تحدث عن طريق العطف وأقره كطريق من طرق القصر ، بل كان حديثه عن لا ضمن مزايا إنما ،فقال: "اعلم أنها – أي إنما – تفيد في الكلام بعدها إيجاب الفعل لشيء ونفيه عن غيره ،فإذا قلت إنما جاءني زيد ،عقل منه أنك أردت أن تنفي ان يكون الجائي غيره، فمعنى الكلام معها شبيه بالمعنى في قولك :جاء زيد لا عمرو ،إلاأن لها مزية ، وهي أنك تعقل معها إيجاب الفعل لشيء ونفيه عن غيره دفعة واحدة ،وفي حالة واحدة وليس كذلك الأمر في جاءني زيد لا عمرو ، فإنك تعقلهما في حالين ،ومزية أخرى ،وهي أنك تجعل الأمر ظاهراً

---

١ ـ دلائل الإعجاز :٢٢٩ ،تح: خفاجي ،دار الجيل ،بيروت.

في أن الجائي زيد ولا يكون هذا الظهور إذا جعلت الكلام بـــ لا فقلت جاءني زيد لا عمرو " .[١]

إذن فالشيخ لم يؤصل لطريق العطف بل جاء بمثال يوضـــح فيـــه الإيجـــاب ، والنفي فاستخدم لا العاطفة ثم رأى أنها تقلب اعتقاد المخاطب فهي إن أفادت القصر أفادت قصر القلب فقط ؛لآنه هو الذي يسبق إلى القلب .

فالاختلاف الذي رأيناه بين الخطيب وشراحه من ناحية وبين محمد بـــن علـــي الجرجاني من ناحية لم يكن الشيخ طرفاً فيه ؛لأنه سابق عليهم وهوشـــيخهم في هـــذا الفن ومع ذلك لم يتكلم عن طريق العطف .

ثم تراهم يختلفون في المعطوف بـــ "بل" فيختلفون في توجيه مثل قولهم " مـــا زيد قائماً بل قاعد " لأنه إن عطف علي لفظ المنصوب لزم العمل في المثبت وهي إنما تعمل في المنفي ، وإن عطف بالرفع علي محل المنصوب فالعطف علي المحـــل ممنـــوع لزوال المحلية بوجود الناسخ ، وأما رفعه بتقدير المبتدأ فيخرجها عن كونها عاطفـــة ، لأن المعطوف سيكون جملة،وإنما تأولوا وقالوا العطف علي المحل غـــير ممتنـــع علـــي مذهب البصريين .[٢]

كما اختلفوا أيضاً في تحديد دلالة "لكن" في إفادتها للقصر فالبلاغيون يـــرون أنها لقصر القلب والنحاة يرون أنها لقصر الإفراد ، فيقول ابن يعقـــوب: "ولكـــن للإثبات بعد النفي كـــ ماجاء زيد لكن عمرو ، رداً علي من زعم أن زيداُ جاء دون عمرو ".

ويقول سعد الدين :" والمذكور من كلام النحاة أن لكن في نحو ما جاءني زيـــد لكن عمرو لدفع وهم المخاطب أن عمراً أيضاً لم يجيء كزيد بناءً علي ملابسة بينهما وملاءمة ، لأنه للاستدراك وهو دفع توهم تولد من الكلام المتقـــدم دفعـــاً شـــبيها

---

١ ـ دلائل الإعجاز :٢٢٩.
٢ ـ انظر شروح التلخيص ١٩٠/٢: ودلالات التاكيب ص: ٩٦ .

بالاستثناء ، وهذا صريح في أنه إنما يقال ما جاءني زيد لكن عمرو لمن اعتقد أن المجيء منتف عنهما لا لمن اعتقد أن زيداً جاءك دون عمرو علي ما وقع في المفتاح ، وأما أنه يقال لمن اعتقد أنهما جاءاك علي أن يكون قصر إفراد فلم يقل به أحد ." [١]

ثم يوضح الدسوقي فيقول :" أما لكن فتستعمل للاثبات بعد النفي لقصر القلب فقط عند البيانيين أو لقصر الإفراد فقط عند النحاة."[٢]

فقد اضطرب الكلام واختلف بين البيانيين والنحاة فكل منهم يري مقاماً تستعمل فيه لكن غير الذي يراه الآخر.

بل إن البيانيين أنفسهم يضطرب كلام الواحد منهم عند الحديث عن هذه الأدوات في أكثر من موضع ، فقد ذكر الدكتور أبوموسى نقلا عن سليمان نوار قوله " إن في كلام سعدالدين في "لكن" اضطراباً لأنه ذكر في باب العطف أنها لا تكون إلا لقصر لاالقلب ، وظاهر كلامه هنا في باب القصر أن لكن تأتي لقصر التعيين ثم قال رحمه الله :وهذا اضطرب لا أرى كيف صار الناس إليه".[٣]

وهذا النزاع والخلاف الذي حدث يؤكد أن الطريق غير واضح المعالم وليس له أساس قوي كباقي طرق القصر ،لأنه غير شائع في كلام العرب ولو شاع لوجوا له أمثلة تحدد المدلول بواسطة القرائن، ولذا فأن درجه داخل طرق القصر الاصطلاحية لا يعدو أن يكون وجهة نظر تفتقر إلى الأدلة القوية الواضحة التي تشد من أزره ، وبخاصة عندما نرى تمثيلهم لهذا الطريق لم يزد على أمثلة مصنوعة لم نجد فيها مثالاً واحداً من القرآن أو السنة أو الكلام الفصيح للعرب الخلص .

---

١ ـ المطول ص ١٢٠ ط المكتبة الأزهرية للتراث .
٢ ـ حاشية الدسوقي: ٣٨٣/١ ضمن الشروح.
٣ ـ دلالات التراكيب :٩٩.

## الدليل الثالث

## رفض بعض البلاغين لهذا الطريق وإخراجهم له من الطرق الاصطلاحية

ذكرت أن الحديث عن طريق العطف وعده ضمن طرق القصر الاصطلاحية لم يتحدد في زمن الإمام عبد القاهر ومن قبله ، بل إن الإمام نفسه لم يتعرض للحديث عن هذا الطريق إلا ما كان منه عن لا ضمن حديثه عن مزايا إنما ، ثم ظهر الكلام عن العطف كطريق من طرق القصر في زمن السكاكي وتبعه الخطيب ثم تبعه بعد ذلك بعض الشراح .

إلا أن بعض الشراح لم يعجبه ذلك ولم يرتض العطف طريقاً للقصر إذ ليس وراءه كبير فائدة تذكر أو تفهم من سياق الكلام ودلالة المقام ، فنفى أن يكون هذا الطريق يفيد القصر وهذا ما نراه عند ابن السبكي ،حيث قال: " أما العطف بـ لا فأي قصر فيه ؟ إنما فيه نفي وإثبات فقولك زيد شاعر لا كاتب لا تعرض فيه لنفي صفة ثالثة ، والقصر إنما يكون بنفي جميع الصفات غير المثبتة إما حقيقة أو مجازاً ، وليس هذا خاصاً بنفي الصفة التي يعتقدها المخاطب ، وأما العطف بـ بل فأبعد ، فإن قولك ما زيد قائماً بل قاعد لا قصر فيه ، وهو أبعد عما قبله ، لأن في " لا" جمعا بين نفي وإثبات وذلك لا يستمر في " بل " إذا جوزنا عطفها على المثبت مثل: زيد شاعر بل كاتب ، ثم إن إطلاق بل العاطفة للقصر لا يصح ، لأنه يقتضي أن قولك ليس زيد قائماً بل قاعد لا قصر فيه فإنها ليست عاطفة ؛ لأن بل لا تعطف إلا المفرد كما صرح به النحاة ."[1]

فالذي يقرأ كلام ابن السبكي يرى رفضه التام لطرق العطف وتعجبه من ذلك ويقول : " أما العطف بـ لا فأي قصر فيه ؟! إنما هو نفي وإثبات "ثم يقول

---

١ - عروس الأفراح لابن السبكي :١٨٧/٣،ضمن الشروح .

:"وأما العطف بـــ "بل" فأبعد ". واستبعاده للقصربـــ بل ينطبق بطبيعة الحـــال على لكن ؛ لأنها شبيهة بها وأبعد منها في محاولة إثبات ما نفي عن الأول .

والرأي عندي : أن ابن السبكي بكلامه هذا كان أثقب فكراً وأبعد غوراً في نظرته إلي القصر البلاغي من كثير ممن قالوا بالعطف ، وذلك لأنه لم ينظر إلي القصـــر نظرة ظاهرية لفظية حتي يعد في القصر كل ما دل علي القصر بمجرد الدلالة علـــي الإيجاب والنفي ، فالقصر البلاغي يُعني بما وراء هذه الأدوات والطرق من إيحـــاءات ودلالات يشع بها السياق ، ويحددها المقام ، والذي يدقق النظر ويعمـــل الفكـــر في أسلوب العطف بـــ لا – مثلاً – يجد أنه لا يحتوي علي أي دلالة سوي إثبات ونفـــي لفظي كان يمكن أن يفهم بأي أسلوب مشابه له ، إذ ما الفرق بين قولنا : مـــا زيـــد شاعر لا كاتب وبين أن نقول زيد شاعر فقط أو زيد شاعر وليس بكاتب، إنها تتفق جميعاً في أثبات الشاعرية لزيد ونفي الكتابة عنه لا غير ، بل إن قولنا زيد شاعر فقط أدق في تخصييص زيد بالشاعرية وحصرها فيه دون بقية الصفات ، وهذا أقـــرب إلي القصر الذي معناه تخصيص الموصوف بالصفة وحصرها فيه ومع ذلك لم يقل أحد أن هذا الأسلوب أسلوب قصر، لبعده عن أي يحاء أو دلالة تنبســـق مـــن وراء هـــذا التخصيص اللفظي.

أيضاً من البلاغيين المعاصرين الذين رفضوا هذا الطريق أستاذنا الكتور محمـــد أبوموسى – وهو الذي لا تخفي مكانته علي أحد من أهل هذا الفن – حيث ذكـــر رأي ابن السبكي وقال معلقاً عليه: " وهذا الرأي كما تري يقتلع طريق العطف مـــن جذوره ويبعده عن باب القصر ، وأجد في نفسي ميلاً إلي هذا الرأي ، وذلك لأمور منها : أننا لا نحصي هنا طرق القصر وإنما نشتغل بالطرق التي يكشف البحث فيهـــا عن دقائق معنوية وأسرار من دلالة تفيض بها أداة القصر في السياق البارع ، وحـــين تتكشف لنا هذه الدقائق والأسرار نجد للجملة مغزيً وسراً ومتاعاً ، ولست واجـــداً

شيئاً من ذلك في طريق العطف ، ولذلك نري أن طبيعة البحث فيه كانت أقرب إلي تحديد الدلالة الأولية منها إلي التحليل الممتع ، ومنها أننا إذا أردنا تأصيل بحث هذا الطريق في المصادر الأصلية نجد جذوره لا تتصل اتصالاً وثيقا وجوهرياً بالتربة التي تمتد فيها جذور بقية الطرق المذكورة "[١]

ولا أجد تعليقا علي كلام العلامة الكتور أبو موسي سوي أن أقول : إنه كلام بلاغي حصيف يتذوق البلاغة ويعرف أصولها، إذ ليس الهدف من دراسة مبحث القصر هو تعديد طرقه وإنما هدف البلاغي وبغيته من وراء دراسة هذا الأسلوب سبرأغوار الأساليب وما تتفتق به من الإيحاءات التي تتواري خلف غلالة هذه الأدوات ليكشف عما تحمله من أحاسيس المتكلم وتنطوي عليه نفسه، والذي يقرأ الأمثلة التي أوردها البلاغيون في طريق العطف لا يجد فيها سوي تحديد الموجب والمنفي لاغير والأداة المستخدمة.

لذا أجد في نفسي ميلاً إلي تأييد كلام ابن السبكي وكلام أستاذنا فلا نعتبر العطف بين طرق القصر الاصطلاحية ، بل إذا أردنا إدخاله في باب القصر فليكن ضمن الصور التي تفيد القصر بالمعني اللغوي والتي تدل علي القصر دلالة لا تفاوت بينها كما في قولنا : فلان مقصور علي كذا ، وهذا لفلان وحده دون غيره وحصر محمد دون خالد إلي غير ذلك من الأساليب والصيغ التي تدل علي منعي الحبس دلالة معجمية .

---

١ ـ دلالات التراكيب ص ١٠١ .

## الدليل الرابع

## جواز اجتماع " لا " العاطفة مع أحد الطرق الاصطلاحية للقصر.

لقد تعلمنا خلال دراسة أساليب القصر وطرقه أن المتكلم الذي يريد أن يستخدم أسلوب قصر لغرض من الأغراض يستخدم طريقاً من الطرق المعروفة في القصر فيصب كلامه في قالب هذا الطريق ليصل من خلاله إلي الغرض المطلوب ، فإذا أراد مثلاً أن يخص محمداً بصفة الكتابة دون غيرها من الصفات قال: ما محمد إلا كاتب فيستفاد من ذلك قصر هذا الموصوف علي هذه الصفة وحبسه فيها دون غيرها ، فإذا أراد أن يغير طريق القصر – لتغير الغرض – استخدم طريقاً آخر وقال: إنما محمد كاتب ، لكنه لا يستخدم الطريقين في آن واحد ، فلا يصح أن يقول : ما محمد إلا كاتب إنما هو كاتب ، لعدم جواز اجتماع أداتين في أسلوب واحد .

فإذا قال البلاغيون بجواز اجتماع "لا " العاطفة مع طريق إنما أو طريق التقديم فتقول : إنما زيد كاتب لا شاعر ، يأتيني لا عمرو [1] دل ذلك بتأكيد علي أن "لا" العاطفة هنا ليست طريقاً للقصر، ولذا ساغ استعمالها للتأكيد علي القصر المستفاد من إنما أو التقديم .

فمجيء "لا" مع إنما والتقديم في المثالين السابقين لا يفيد أكثر من التأكيد النفي الضمني داخل الأسلوب ، فقولنا : إنما زيد كاتب لا شاعر استفيد منه اختصاص زيد بالكتابة من خلال أداة الحصر "إنما" كما انتفت عنه الكتابة ضمناً ، ثم جاءت "لا" بعد ذلك لتأكد علي هذا النفي ولم تزد علي ذلك ، والدليل : أنه يمكن الاستغناء عنها ولا يتأثر الأسلوب فتقول : إنما زيد كاتب والقصر والحصر باق علي حاله.

---

١ ـ انظر المفتاح ص:٢٩٣، والإيضاح ص ١٥٥ وغيرهما من كتب البلاغة .

ثم خذ دليلاً آخر علي أن "لا" تأتي للتأكيد فقط وليس للقصر وهو : أن البلاغيين اشترطوا في اجتماع " لا " مع طريق إنما أن تكون في المعاني التي يمكن أن يكون فيها إنكارأو شك فتساعد في إزالة هذا الإنكارفتقول : إنما هو كاتب لا شاعر ، لمن ينكر أو يتردد في إثبات صفة الكتابة له ، في حين أنه لا يحسن دخول لا علي إنما إذا كانت داخلة علي المعاني السهلة المأنوسة التي لا ينكرها المخاطب وبذلك لا تحتاج إلي التأكيد فلا يصح أن تقول : إنما يعجل من يخشي الفوت لا من يأمنه ، لأنه معني معروف بداهة فلا يحتاج إلي تأكيد .

وقد أسار البلاغيون إلي هذا الأمر فقالوا:" وقال السكاكي شرط مجامعته للثالث – أي شرط مجامعة العطف لطرق إنما – ألا يكون الوصف مختصا بالموصوف كقوله تعالي : {إنما يستجيب الذين يسمعون } فإن كل عاقل يعلم أن الاستجابة لا تكون إلا ممن يسمع ، وكذا قولهم : إنما يعجل من يخشي الفوت لأن كل عاقل يعلم أن العجلة لا تكون إلا ممن يخاف الفوت لا من يأمنه ، لأن الاختصاص إذا كان معلوماً لم يكن للإتيان بالعطف فائدة بخلاف إذا لم يكن الوصف في نفسه مختصاً بالموصوف نحو إنما زيد كاتب لا شاعرفإنه يجوز فيه مجامعة العطف لإنما ليحصل العلم بالنفي بالمطابقة ." [١]

ففي كلامهم هذا دليل واضح وصريح أن "لا" العاطفة في مجامعتها لإنما أو التقديم لا تزيد علي إفادة التأكيد ، ولذا لا يحتاج إليها عندما يكون الوصف مختصاً بالموصوف ، وهذا يدل بطبيعة الحال علي أنها ليست للقصر .

ولقد قال البلاغيون أن لا تجامع طريق إنما والتقديم ولا تجامع النفي والاستثناء حيث قالوا: " أن النفي لا يجامع الثاني – أي النفي والاستثناء – لأن شرط النفي بـ

---

١ - إيضاح الإيضاح للأقسرائي ص : ٧٢٧.

لا ألا يكون منفياً قبلها بغيرها أي لا يجوز أن يقال ما زيد إلا قائم لا قاعد .. ويجامع الأخيرين – أي إنما والتقديم – "[١]

وكلام البلاغيين هنا – مع تقديرنا له – غير مسلم به فقد ورد في كلام الزمخشري – وهو مفسر وبلاغي له قدم راسخة في اللغة – ما يدل علي إمكانية اجتماع لا مع النفي والاستثناء حيث قال في تفسير قوله تعالي :{ زين للناس حب الشهوات...}آل عمران : ١٤ " ثم جاء بالتفسير ليقرر أولاً أن المزين لهم ما هو إلا الشهوات لا غير" وقال في تفسير قوله تعالي :{ثم جاءوك يحلفون بالله إن أردنا إلا إحسانا وتوفيقا }سورة النساء: ٦٢ قال: " يحلفون ما أردنا بتحاكمنا إلي غيرك إلا إحساناً لا إساءة ."[٢] ففي كلام الزمخشري اجتمعت لا مع النفي والاستثناء علي الرغم من منع البلاغيين ذلك وهذا دليل علي أن طريق العطف طريق غير مستقر وفيه خلط واضطراب كما أن الأمر لم يقتصر علي كلام المفسرين من أمثال الزمخشري فقد إجتمعت لا مع النفي والاستثناء في الشعر العربي فقد قال الحريري[٣]:

لعمرك ما الإنسان إلا ابن يومه  علي ما تجلي يومه لا ابن أمسه .[٤]

فقد اجتمع في هذا البيت النفي بلا مع النفي والاستثناء واستقام الكلام لأن لا جاء للتوكيد فقط . والقصر قد استفيد من طريق النفي والاستثناء .

---

١ ـ المجع السابق ص: ٧٢٥.
٢ ـ انظر الكشاف : ٣٤٢/١ ،٥٢٦ تح مصطفي حسين أحمد ط دار الكتاب العربي.
٣ ـ الحريري هو أبو محمد القاسم بن علي بن عثمان الحريري البصري ولد بقرية المشان القريبة من البصرة ٤٤٦ هـ وكان غزير العلم في الأدب واللغة والنحو من آثاره : المقامات ودرة الغواص في أوهام الخواص وغيرهما توفي بالبصرة ٥١٦ هـ . انظر : الأعلام للزركلي ١٧٧/٥ ط دار العلم للملايين بيروت ، ومعجم المؤلفين :١٠٨/٨ ط دار إحياء التراث العربي .
٤ ـ المقامات الأدبية بشرح الشربيني عليها:٢٤١/٣ مطبعة المدني بالقاهرة.

إذن : أستطيع أن أقول أن إجازة البلاغيين لاجتماع "لا" مع طرق القصر دليل دامغ علي كون العطف ليس طريقا من الطرق الاصطلاحية للقصر ولو كان طريقاً معتداً به لما ساغ اجتماعه مع غيره من أدوات القصر .

## الدليل الخامس

## خلو طريق العطف من غرض الإيجاز والتركيز علي المخصوص بالقصر

لقد صرح البلاغيون أن طريق العطف يغاير باقى طرق القصر الاصطلاحية في كونه يدل علي المثبت والمنفي معا باللفظ الصريح، فقالوا في وجوه اختلاف طرق القصر: " أن الأصل في الأول – أي العطف – أن يدل علي المثبت والمنفي جميعاً بالنص فلا يترك ذلك إلا كراهة الإطناب في مقام الاختصار" [١] ومعني هذا الكلام أن مزية الإيجاز التي يتميز بها القصر فيجعل الجملة الواحدة في قوة جملتين غير متحققة في هذا الطريق وهذا الأمر يخرجه عن دائرة القصر البلاغي ، لأنه فقد أهم أغراض القصر التي أشار إليها البلاغيون فقد قال الشيخ عبد المتعال الصعيدي :" والقصر في الاصطلاح هو تخصيص شيء بشيء بطريق مخصوص ... والمراد بتخصيص الشيء بالشيء إثبات أحدهما للآخر ونفيه عن غيره ، وبهذا تكون جملة القصر في قوة جملتين ويكون القصر طريقاً من طرق الإيجاز ، ويكون الإيجاز من أهم أغراضه " . [٢]

فالمفهوم من كلام البلاغيين أن الإيجاز من أهم الأغراض التي يأتي لها القصر وخلو العطف من هذا الغرض يزله من رتبته بين بقية الطرق ، ولتتأمل الفرق بينه وبين طريق إنما علي سبيل المثال ، وذلك في حديث الشيخ عبد القاهر عن مزايا إنما ، يقول:" إلا أن لها مزية وهي أنك تعقل معها إيجاب الفعل للشيء ونفيه عن غيره دفعة واحدة وفي حال واحد ، وليس كذلك الأمر في جاءني زيد لا عمرو ، فإنك تعقلهما

---

١ ـ الإيضاح ص : ١٥٤ تح د/عبدالقادر حسين .
٢ ـ بغية الإيضاح : ٣/٢ ط مكتبة الآداب ١٩٩٩م .

في حالين " [١] فالإمام يشير إشارة دقيقة إلي أهم أغراض القصر والذي تميزت به إنما وهو التركيز والإيجاز وإفهامك المعني دفعة واحدة ن ولست واجداً هذا الشيء في طريق العطف .

ويعلق أستاذنا الدكتور أبو موسى علي كلام الإمام فيقول :" إن الإمام عبدالقاهر أدرك الفرق في الأداء بين الطريقين ، وأنه فرق في القيمة البلاغية ، فإنما توقع في النفس الإيجاب والنفي دفعة واحدة في حالة واحدة من الإدراك ، وذلك بخلاف "لا " فإن النفي والإثبات يدرك معها في حالين ، وفرق بين طريق يرمي بالمعنيين في القلب رمية واحدة وطريق يلقي بهما حالين مختلفين، ... فعبد القاهر يوميء إلي سذاجة الدلالة في "لا" وأنها لا دقة فيها ولا وجازة ولا إيماض ... ولهذا لا نراها طريقاً جديراً بالبحث في هذا الباب". [٢]

فكلام الدكتور أبو موسى يؤيد كلام الإمام عبد القاهر في عدم الجدوي من دراسة هذا الطريق لسذاجته وضعف دلالته وخلوه من لطيفةالإيجاز والتركيز .

إذن : وبعد عرض كلام البلاغيين يتضح تجرد طريق العطف من ميزة عالية وغرض مهم وهو إيصال المعني إلي قلب المخاطب بأقصر طريق وأوجز عبارة مع التركيز علي المطلوب ، فإذا كان ذلك كذلك فما فائدة إقحام هذا العطف بين الطرق الاصطلاحية للقصر ، وقد علمنا أن الغاية من دراسة أساليب القصر هي الغوص وراء الدلالات والكشف عن أسرار التركيب وقد خلا العطف من أي إيحاءات تستتر وراء أدواته زيادة علي خلوه من غرض الإيجاز والتركيز .

---

١ ـ دلائل الإعجاز :٢٢٩.
٢ ـ دلالات التراكيب :١٠٣.

## تعقيب

لقد تضافرت الأدلة السابقة جميعها علي إسقاط أدوات العطف من بين طرق القصر وتفنيد حجج القائلين بأن هذه الأدوات تصلح للقصر البلاغي ، فقد ظهر ضعف وفتور هذه الأدوات في النهوض بدور الأداة التي تحمل في طيتها المعاني المتوارية خلف أسلوب القصر ، ولذا لا نجد لها استخداماً في القرآن الكريم أو السنة المطهرة ولم تكن شائعة الاستعمال – كأدوات قصر – عند العرب ، فرأينا القائلين بها كطريق القصر يسطنعون لها أمثلة تشبة الأمثلة الافتراضية التي يقولها الفقهاء والنحاة علي سبيل الافتراض ولا يقوم عليها استعمال، ولذا رأيناهم يضطربون في تحديد دلالة هذه الأدوات والمقامات التي تستخدم فيها ، فمن قائل بأنها لقصر القلب فقط ، ومن قائل بأنها للإفراد فقط إلي غير ذلك من الاختلاف الذي يدل علي عدم تمكن هذه الأدوات في إفادة القصر وضعف دلالتها ، بل رأيناهم يُقرون بجواز اجتماع بعض هذه الأدوات مع الطرق الأخري للقصر كـ " إنما والتقديم " وبذلك أقاموا الدليل علي عدم صلاحية هذة الأدوات للقصر ، واقتصارها علي إفادة التوكيد ودفع التوهم ، زد علي ذلك إقرارهم بعدم احتواء هذه الأدوات علي غرض الايجاز وهو من أهم أغراض القصر البلاغي، بل إننا وجدنا من البلاغيين أنفسهم من رفض هذا الطريق تماماً واقتلعه من جذوره – والحق معهم – فلم ير فيه أي وجه للبلاغة يشفع لبقائه بين الطرق الاصطلاحية .

لهذا كله : يترجح لدي بل يتأكد عدم صلاحية هذه الأدوات لأن تكون طريقاً من طرق القصر ، فهي لا تزد في عملها فوق إفادة إيجاب شيء لشيء ونفيه عن غيره في حالين مختلفين ، وهذا ما يمكن أن تؤديه عيرها من الأدوات كما في قولنا : حضر محمد دون علي أو جاء علي وحده أو هذا لخالد فقط إلي غير ذلك التي تدل علي حبس شيء علي شيء ، فإن بقي إصرار علي اعتقاد إفادتها للقصر فليكتفي بذكرها في القصر غير الاصطلاحي مع بقية الأساليب التي تدل علي القصر بالوضع اللغوي المعجمي ولا تتفاوت بينها في درجة البلاغة، والله أعلا وأعلم .

## الخاتمة

الحمد لله الذي تتم بنعمته الصالحات ، وتختتم بشكره كل الأعمال والقربات، والصلاة والسلام علي خير البريات ، سيدنا محمد وعلي آله وصحبه ومن سار علي نهجه حتي الممات .

## وبعد

فقد تم الكلام عن أدوات العطف وأبديت وجهة نظري في إسقاطها من بين طرق القصر الاصطلاحية ، ولم أكن منفرداً في هذا الرأي بل سبقني فيه علماء لهم قدم راسخة في هذا الفن ، لكن كان قولهم مختصراً موجزاً بين ثنايا كلامهم عن طرق القصر وربما لا يلتفت إليه القارئ ، فدفعني ذلك إلي تحرير المسألة في بحث مستقل أفصِّل ما أجمله العلماء وأدعم قولهم بالدليل حتي لا تبقي لهذه الأدوات شائبة تسوغ بقاءها بين طرق القصر الاصطلاحية، ولعل أقوي الأدلة علي سقوط هذه الأدوات هو عدم استخدام القرآن الكريم أو السنة المطهرة لها كطريق من طرق القصر، وأيضاً عدم شيوع استعمالها في الأساليب العربية الفصيحة ، ولو شاع استعمالها لما رأينا الاضطراب والخلط في تحديد دلالات هذه الأدوات عند القائلين بها، إذ أن اختلافهم في تحديد المقامات التي تستعمل فيها دليل علي عجز هذه الأدوات عن القيام بالدور المنوط بها كطريق من طرق القصر ، بل إن القصر البلاغي لن يتضرر بإسقاط هذه الأدوات من بين طرقه ، إذ غايته تحديد الدلالات والمعاني المتوارية وراء الأساليب بأي طريق كان ، كما أن هذه الأدوات لن تفقد قيمتها بإخراجها من القصر، بل تؤدي دورها المنوط بها في باب العطف ، غاية الأمر هو استعمال كل أداة في مكانها الماسب لها حتي يستقيم أداؤها بين الأساليب البلاغية.

وفي نهاية المطاف أكرر ما قلته في المقدمة من أن هذا هو مجرد رأي مقرون بأدلة فإن صادف قبولاً فلله الحمد والمنة علي ما وفق وهدي ، وإن صادف غير ذلك فليس علي القارئ من سبيل ، والله المستعان .

وصلي الله علي سيدنا وحبيبنا محمد وعلي آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا

## فهرس المصادر المراجع

- الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ت محمد أبو الفضل إبراهيم مطبعة الحسيني القاهرة.
- الإشارات والتنبيهات لمحمد على الجرجانى – ط دار نهضة مصر القاهرة
- الأعلام للزركلي ط دار العلم للملايين بيروت ، ومعجم المؤلفين ط دار إحياء التراث العربي .
- الإيضاح للخطيب القزويني ، تح د / عبد القادر حسين، ط مكتبة الآداب.
- إيضاح الإيضاح لجمال الدين بن محمد الإقسرائي ت ميلاد إبراهيم القذافي ط دار الشعب مصراته ليبيا الطبعة الأولي.
- تلخيص المفتاح للخطيب ،ضبط وشرح عبد الرحمن البرقوقي.ط دار الفكر.
- تهذيب النحو تأليف دعبد الحميدالسيد عبداللطيف مطبعة المدني القاهرة.
- حاشية الدسوقي ضمن الشروح .
- حاشية الصبان علي شرح الأشموني ط دارإحياء التراث العربي.
- الدر المصون في علم الكتاب المكنون للسمين الحلبي تحقيق د أحمد الخراط ط دار القلم بيروت .
- دلائل الإعجاز ت خفاجي ط دار الجيل الطبعة الأولي ٢٠٠٤م .
- دلالات التااكيب د محمد أبو موسى مطبة وهبة بالقاهرةالطبعة الثانية ١٩٨٧.
- زاد المسير إلى علم التفسير لابن الجوزي تح : مصطفى السيد محمد وأخرين ، ط مؤسسة قرطبة ، القاهرة .
- شرح الأشموني علي ألفية ابن مالك ط دار الكتب العلمية بيروت.
- شرح ابن عقيل علي ألفية بن مالك مطبعة دار الطللائع الاسكندرية.
- شرح التلخيص للبابرتي ت د/محمد رمضان صوفة ط المنشأة العامة للنشر والتوزيع .

- عروس الأفراح لابن السبكي ضمن شروح التلخيص ط دار الكتب العلمية.
- علم المعاني بين بلاغة القدامي وأسلوبية المحدثين د طالب محمد إسماعيل ط منشورات جامعة قاريونس ليبيا ط أولي ١٩٩٧.
- قطر الندى وبل الصدىلابن هشام تحقيق خفاجي ط مكتبة الإيمان بالمنصورة.
- الكامل للمبرد ط مؤسسة الرسالة الطبعة الثالثة ١٩٩٧م.
- الكشاف للزمخشري تح مصطفي حسين أحمد ط دار الكتاب العربي.
- المطول ط المكتبة الأزهرية التراث .